احداث تلاقت

•

أهم ما شغل بغداد في الاسبوع المنصرم ثلاثة احداث مترابطة ومتعاونة على تأليف موقفنا الحاضر ، وهي حادث كلية الحقوق ، وسفر المفاوض العراقي ، وفتور قضية فلسطين .

وأهم ما في الثالوث هذا اختلاف الحكومة والمشتغلين بالسياسة في كثير من نقاطه . وحين يقول القائل في هذه المرحلة : « المشتغلون بالسياسة » يفهم من قوله الآن ما لم يكن يفهم منه قبل سنين ماضية قليلة ، اذ ان السياسة اصبحت في عرف الوعي الحديث حقاً شائعاً بين الجميع كسائر الحقوق الاخرى التي يتمتع بها كل مدرك في الوطن .

أما حادث كلية الحقوق فكاد ان يطغى على الحادثين الآخرين اللذين انبثق منهما .

ونحب أن نسجل من أهمية هذا الحادث الكبرى ظاهرتين

تبدوان متناقضتين ولكنهما في الواقع على تمام الانسجام وهما :

١ - اكتساب حركة (الحقوق) العطف الاجماعي اذ أيدتهـــا الاحزاب والهيئات السياسية والاجتماعية على اختلافها بصورة تكاد تعتبر الاولى من نوعها .وقد اكتسبت الحركة هذا العطف بايمانهـــا اولاً ،وبتضامن الطلاب ثانياً الدالّ على وعي صحيح لا في دفاعهم عن (طلاب الحقوق)فقط، بل في ادراكهم لما يترتب على المطالبة بتعديل المعاهدة تعديلاً ملائماً لأماني الشعب قبل ذلك .

٢ - استجابة الحكومة الى الطلاب والنزول على رغبتهم في فتح الكلية - وفي اخراج الطلاب الموقوفين .

وهذه ظاهرة قدرتها الاوساط بصورة خاصة لدلالتها عـــلى استعداد الحكومة للتفاهم ، الامر الذي لم يعهد من قبل في مثـل هذه الاحوال .

وربما بدا في الظاهرتين هاتين شيء من التناقض في الثناء عـلى نهاية موقفي الخصمين في هذا الحادث، ولكن الوعي في جوهر الامر وواقعه هو الذي يوحد النتيجة التي انتهى اليها كل من الموقفين .

وبعد هذا فالحركة في موقف الطلاب وفي استجابة الحكومة لرغبتهم مظهر من مظاهر التطور المحسوس في التقدم إلى شيء من الحرية . وذلك ما اغتبط به مراقبو هـــذا التطور من طلاب الاصلاح في الوادي .

أما سفر وفد المفاوضة فقد كان أحد وكائز الحركة التي أشرنا اليها اذ أثار تصريح معالي وزير الخارجية الوساوس التي استعرضناها سابقاً.

ويلفت النظر ان حديث الانكليز عن المعـاهدة ملي، بالوعود

المعسولة، المبشرة بان الانكليز متجهون الى التفاهم باستعداد غريب للتساهل ..!؟

وانا حين أستغرب ان يكون للانكليز الحق بان نصفهم بالتساهل في هذا الموضوع لانهم لا يعطوننا غير ما نملكه بطبيعة كوننا اصحاب البلاد .. أقول : انا حين استغرب ذلك وانكره أشير الى ان هذه الاريحية التي تنقل عن بريطانيا او تنتظر — على الاصح — مرتبطة بمصلحتها هي لا بمصلحتنا نحن. والفضل في هذا التساهل يعود الى روسيا لا لها. ولا تستغرب فان مزاحمة الروس القوية الخطرة على حياة بريطانيا فرضت عليها ان تكون كريمة الاعراق طيبة الذات، ولولا ذلك لالفيناها متنمرة كما عهدناها ، ولكنها محتاجة الى أسوار تريد ان ترفعها في وجه الروس ، والى آبار تريد ان تستعد بها للحرب، والى جيوش تريد ان تواجه بها المحن . وهذا وحده هو الذي جعلها تبدو كريمة الاعراق طيبة الذات. وعليه فمن المحتمل ان تكون المعاهدة الجديدة مرضية اذا تنوسيت هذه الظروف. ومن المحتمل ان تنتعش فلسطين على هذه الشروط فتكون هي والعراق وشرق الاردن قواعد وحصوناً .

والملتفتون الى هذا كله من مخلصي المفكرين والسياسيين يوصون المفاوض العراقي بان يحس بهذه الظروف لصالح العراق قبل أي اعتبار، ولا يرون مانعاً من الحلف العراقي الانكليزي، ولكن على ان لا يخدع العراق من جديد، وعلى ان لا تكون لبريطانيا حصة الاسد .

اما فلسطين فبقدر ما ينتفع العراق يكون نصيبها من النفع .

وبقدر ما يخصها من السياسة الانكليزية التي تعمل على انشاء الكتلة العربية ووصلها بالكتلة الشرقية، بقدر ما يخصها من ذلك ينالها من التحرير!

اما الصراخ والهتاف فعمل الى الآن هو أقرب الى الاغواء منه الى النصح، وليس فيما حدث حتى الآن شيء نطمئن اليه.

فاذا فرغنا من هذه الامور راعنا ان لا نجد الانسجام الذي تتطلبه هذه الفترة في صفوف السياسيين فهم بين من يجر بطول هذه القضايا وبين من يجر بعرضها، وفي القوم نفر مذبذبون لا يهمهم ان نقع هذه على هذه.

موقفي من صالح

كنت حتى اواخر كانون الثاني سنة ١٩٤٧ صديقاً لصالح جبر. وما شاء الناس فليقولوا في هذه الصداقة. وحسبي انني اعلم اني صادر في ظاهر تلك الصداقة عن ضمير لم تدنسه آلام الضمير. والمتتبع من قرائي يتذكر انني قسوت بالنقد على وزرائه تلميحاً وتصريحاً مرات عديدة. وقبل أيام ذكرت جمال بابان فنهيت صراحة عن اسناد وكالة رئاسة الوزراء اليه لضعفه عن القيام بهذا العبء[1] ضعفا يجمد اعمال الدولة، ثم لحظت في هذا النهي دسه على رئيسه لا حبا بصالح بل كراهة لهذا الخلق.

وكان هذا النهي سببا في حرمانه من وزارة الداخلية التي كادت تزف اليه. وقد عاتبني صالح يومئذ — اذ التقينا في مجلس الاعيان قبيل الجلسة التي سافر بعدها الى لندن — فرددت عتابه رداً قوياً.

(١) راجع الساعة ٩٣٩ بتاريخ ٤٨/١/١

ولم يكن هذا اول نقدولا اول خلاف، فقد كان الذي يصطدم بايماني وضميري في سيرته وسياسة حكومته شيئاً كثيراً ، ولكنه لم يكن متكشفاً لي على هذا النحو ، وكنت أتحمل ما يقال لقاء خدمة الصالحين من الضعفاء الذين لم يكن لهم عون سواي في ذلك العهد ، واني لأعذر ظنون الناس المختلفة في موقفي من صداقته لاني وقفت منه موقفاً لو جردت من نفسي شخصاً آخر لما استطعت ان أرى منه غير ما يرى الناس ، فكيف وجل هؤلاء يسمعون فيّ اقوال أعدائي .. استغفر الله بل حسادي ، دون ان يعرفوا سريرتي المطبوعة على وراثة ونشأة تحيلان عليها ان تتأثر بغير (مثالية) الصداقة أو تنساق بغير النخوة والنجدة وراء مبدأ في حدود هذا الوطن العزيز .

هكذا انفردت في هذه الصداقة الصادرة عن اريحية مجردة بصراع الاحزاب وصراع الحكومات المتتابعة (كالنصل عري متناهٍ عن الخلل) حتى كان منهم ما كان ، مما ليس محله هذا المكان .

قلت إنني كنت أعرف بصداقة صالح حتى اوائل كانون الثاني ، وما شاء الناس فليقولوا في هذه الصداقة فانا الآن اتحدث للتاريخ والحقيقة فقط ، واذا كانت الخضات السياسية خلال السنوات الماضية لم تلزمني باعلان الحرب على سياسته لانها خضات محلية لا تمس جوهراً في كرامة (الوطن) فان تعديل المعاهدة امر يتصل بصميم هذا الجوهر .

لذلك بدأت ، لا لسبب آخر ، انظر الى المعاهدة بحذر ثم

بدأت انظر اليه والى انصاره بحذر ايضاً بعد ان اكتشفت مـــا اكتشفت مما يخالف رأيي ونظرتي الى الحياة .

وكنت ـ بعد ـ اول من اشار الى الخبء في هذه المعاهدة التي تحاط بالمسكنات والمخدرات ، فقلت في العدد رقم ٩٥١ من الساعة : « يتردد في بعض الاندية السياسية ان معاهدة سنة ثلاثين قد ابلاها الزمان وجعل من ظرفها الشاذ سلاحا فرى اوداجها واحمد انفاسها منذ عهد غير قريب ، ولكن بريطانيا ام العجائب استطاعت ان تمشي بها حتى الآن ، وكان لها حاجـــة الى ان تسكب فيها بعض قطرات منعشة لتبعث فيها الحياة من جـــديد ، وهذا ما فعلته بتعديل المعاهدة .. »

قلت ذلك وصالح في قمة نفوذه ، او في الذروة من حرصه على تحقيق احلامه ، ولم يكن احد يقدر له هذه الخاتمة التي اورده اياها غروره اولاً ، ونوري السعيد ثانيا ، وانشقاق وزارته على نفسها ثالثا ، وبالتالي نقمة الناس على جملة الاحداث المجتمعة لا على توقيـــع المعاهدة وحدها .